أيُها الدين

أذاعَ رجالكَ السرَّ المَصُونا فأبدَوا غامضاً وجلَوا يقينا
وأنضوا سترَ اوهامٍ وكانت تُمثِّلُ خلفَهُ الدنيا مُجونا
وتنشرُ من خلاعتها ضروباً وتُظهرُ من مساوئها فنونا
مشاهدُ حارتِ العُقلاءُ فيها وكانوا الناظرينَ السامعينا
عهدناكَ الذي يُغضي ويعفو اذا كثرت عيوبُ المذنبينا
وصوَّاناً مكانُ السرِّ منهُ مكانَ الروح ممَّن يجنونا
وانتَ تقول صفحاً عن مُسيءٍ ورِفقاً بالعبادِ الساقطينا
وان عثَرَ الرفيقُ فأنجدوهُ ومُدّوا الى إقالتهِ اليمينا
فهل غيَّرتَ هاتيكَ السجايا وبدَّلتَ الطباعَ وما دَرينا
وهل حوَّرتَ تعليماً قديماً تناقلَهُ العبادُ الأوَّلونا
أم اعتُصبتْ رجالكَ واستفاقتْ تُناصبُ شيمةً وتصونُ دينا
وتقطعُ فاسداً وتَلُمُّ شَعثاً وتضربُ عانثاً ثغرَ الحصونا

*

فلا واللهِ ما عارضتَ قلباً لغيرِ الحقِّ يرفضُ ان يدينا
ولا قسَّيتَهُ في وجهِ قومٍ يذوبُ الى عناقهمِ حنينا
وكنتَ ولا تزالُ حصينَ صدرٍ كتومَ السرِّ حرَّاناً امينا
تلينُ متى رأيتَ اللينَ يجدي وتأبى مع التحاملِ ان تلينا
ولكنَّ العدوَّ يُريكَ شرّاً ويطلبُ منكَ ان تغضي الجفونا
ويُضرمُ في زروعِ بنيكَ ناراً وان قاومتَ سأكَ الخؤونا
وتُشبعُ كفُّهُ خدَّيكَ صفعاً ويأملُ ان تقولَ لهُ : رضينا
ويسألكَ القاهلَ او يستي رجالكَ كلَّهم متعقِّبينا
يروعُ وان شعرتَ بهِ ينادي وويدكَ قد لسأتَ بيَ الظنونا
ويبذرُ فتنةً ومتى استطالتْ يقولُ بَنُوكَ كانوا الباذرينا

واتباعٍ لهُ احتسبوكَ سَدًّا يثبّطُ عزمةَ المتمدنينا
قفلتَ بوجههم باب اللاهي وقمتَ تُناوشُ المتهتكينا
فساموكَ العداوةَ واستاموا الى امیالهم مستعبدينا
فقلبهمُ لمثلكَ ليسَ يصغو ومثلهمُ بشرعكَ لن يدينا
يقولونَ السياسةُ لا توالي أناساً اصبحوا مُتوحّدينا
حقوقَ الدينِ نبخسهم ونُبقي لنا الدنيا فهلّا ينصفونا ؟
وان وقعوا بسُفْلةٍ أقاموا اليكَ واقبلوا متسابقينا
وقالوا تحسُنُ الدنيا وتزهو اذا ما الدينُ كان لها قرينا

*

فيا عجباً من الدنيا ومنهم اناسٌ بالتقلُّبِ حيَّرونا
فقد نُحنا فلم يبكوا وقمنا ندقُّ فلا نراهمُ راقصينا
ومن شرِّ المصائبِ أن تُصافي عدوًّا ليس يُخلصكَ اليينا
حملنا منهمُ عَنَتاً وان لم يُحكّمْ في القضيةِ مُنصفونا
كذبحٍ بسيفِ الظلمِ راضٍ ولا يرضى الجناةُ القاتلونا
صبرنا على أذاهم فاستحالوا دماءَ رقابنا مُتنمّرينا
وكانوا كالبُغاثِ فطارَ منهم زَعانفةٌ غدَوا مُستنسرينا
فصيدتهم زعازعُ هائجاتٌ تُعيدهمُ بارضكَ مدقعينا
وشُهبٌ من بُزاةِ العلمِ اضحوا ذرازيرَ الضَّلالةِ صائدينا
كشفنا منهمُ سرًّا وكانوا لهُ بينَ الاضالعِ صائنينا
وقد فسدت طويّتهم فامسوا باصنافِ الفواحشِ ناضحينا

*

واسرارُ الظلامِ يها ننادي على دلسِ العبادِ مصرّحينا
فكيفَ يجوزُ سترُ السرِّ يوماً اذا ما كانَ فحشًا او كمينا
ومزلقةً لاقوامٍ وُجدنا لنحرس منهمُ حسباً ودينا
وانّى صحَّ طبرُ مخبّآتٍ يكونُ نتاجُها داءً دفينا
ودفنُ مفاسدٍ برؤوس قومٍ لما قالَ السلّطُ يرضخونا

ودرُّ خناجرٍ بصدور شعبٍ لتخرقها وتجعلها جفونا
وتركُ الأُقحوانِ لدى فراشٍ ليسهرَ في الرقادِ على بنينا
واخفاء الشرارةِ في هشيمٍ وتجلسُ فوقهُ متطامنينا
فلا وابيكَ هذا شرُّ فعلٍ يقصِّرُ عنهُ جهلُ الجاهلينا
ويتركُ كل ملتفتٍ اليهِ كسيرَ القلب مبهوتاً حزينا
أما واللهُ يأمر ان نُجافي أخا حَرَبٍ ونطّرحُ الرَّمينا
ونقطع كل عضوٍ فيهِ داءٌ مخافة ان يضرَ السالمينا
فلا أسفٌ على نَفرٍ تهاووا باطباق الجهالة ساقطينا
نَحضناهم كثيرَ النصحِ بُقيا عليهم فاستمرُّوا تائهينا
وهزَّ الدينُ فوقهمُ حساماً فكان كمن يخاطب مائتينا
لقد عثُوا اباهم واستهانوا بامرٍ تلطمُ الخدَّ الجبينا
وقاموا يُنذرونَ بني ابيهم باهوالٍ تُشيبُ المُرضعينا
يلاحيهمُ التعاضد والتآخي وجِدٌّ في الشرورِ مجرَّبونا
تقودهمُ العباوة حيثُ شاءت وأنّى شاء جهلٌ يتزلونا
يرونَ الفوزَ طيفاً في منامٍ فيقضونَ الحياة معلّلينا
تشدُّ ذراعهم آراء حيفٍ تردّدُ في مسامعهم طنينا
اذا التفّتْ جموعهمُ وأبدت مُناجزةً وحدّدتِ القرونا
وحرَّشها التضاغنُ واستفزّت يناطحُ وعلُها الصخرَ المتينا
ويبتسرُ من رجال الدين قوماً يخوضونَ المعامع ظافرينا
لشقِّ غُبارها خُلقوا وكانوا لمثلِ اليوم يطوونَ السنينا
يفدّونَ الحقائقَ بالغوالي وبالارواحِ ايماناً ودينا
فإن قعدوا تُقيمهمُ نفوسٌ ابيّاتٌ تُقيمُ القاعدينا
تعودُ بهم الى العصر الخوالي وايامِ الجدودِ الاوّلينا
الى وقتٍ به اجتمعتْ ملوكٌ تُبيدُ الدينَ والحقَّ المبينا
فسادَ وعادَ من حَلموا بفوزٍ بعرفٍ رحى عصابتهِ طحينا

*

ألا يا ايها الدينُ الذي لم تُهوِّلْهُ رعودُ الكافرينا
وكانَ بمهدِهِ طفلًا فأبلى ودانَ لهُ الطُّغاةُ المارقونا
أيجملُ بعدما اشتدَّيتَ زنداً بقومكَ والرعاةِ المُفلحينا
أيحسُنُ ان يُسامَ بنوكَ خسفاً ويرضوا بالمهانةِ صاغرينا
أيجدرُ أن ننامَ على هوانٍ ونحملَ جورَ قومٍ عيَّرونا
ونحنُ الدركونَ لما اردنا ونحن الى الغنائمِ سابقونا
ونحن الكاشفونا الضيمَ عنَّا أقرَّت فيهمِ الايامُ هُونا
ونحنُ المحسنونَ الى عدوٍّ ونحنُ لدى المصابِ مفاخرونا
ونحنُ العاملونَ وهم اناسٌ أماتَهمُ الخمولُ ويدَّعونا
وفينا العلمُ علمُ الحقِّ يمحو ضياءُ جبينهِ الجهلَ المشينا
حسامُ اللهِ يُحملهُ كماةٌ يُجرَّدُ للصروفِ متى غُشينا
ندكُّ بهِ حصونَ الكفرِ دكًّا ونُنقضُ عزَّةَ المتشامخينا
ونشحذهُ لشيطانٍ يُضلُّ يدوفُ لنا بوِرْدِ الصدقِ طينا

*

رويدكَ ايها الدينُ المفدَّى بأنفُسِ اهلكَ المستقتلينا
يريدُ بقومكَ الظلَّامُ سوءًا وربُّكَ لا يحبُّ الظالمينا
ويطلبُ منكَ اهلَ البغيِ ثارًا فلا واللهِ ذلكَ لن يكونا
نُعيذكَ أن تُمسَّ ولا نزوِّي رُباناً من دماءِ المفترينا
وُلِدنا في حماكَ وما عرفنا بانَّ لنا سواكَ ابًا حنونا
تعوَّدنا رجالكَ فاستقينا وحبَّكَ والفضيلةَ أشربونا
فيأبى اللهُ ان ننسى جميلًا ونأبى ان نكون الغامطينا
نهجتَ لنا الطريقَ الى المعالي فجرناها بهديكَ آمنينا
رأينا منكَ اشفاقًا وإنَّا لنُخلصكَ المحبةَ ما حيينا
فدُمْ يحميكَ انصارٌ كرامٌ تقومُ بهم حدودُ اللهِ فينا
تتيهُ بفضلهم عزًّا وتلقى ببؤسَ رأيهم شيخًا ركينا
يقولُ وليسَ معترضٌ ويقضي فنقبلُ الاوامرَ راضخينا

ويُطرُ نصحَهُ بصدورِ شعبٍ فينمشُ ضمنها ديناً مكينا
تحذناه عن الاجدادِ إرثاً ونورثهُ اذا متنا بنينا
خَتَمْنَا على القلوب بهِ وهذا شعارُ بنيكَ أنّى يظهرونا
وصبغةُ كاهنٍ ان شئتَ يُدعى بلِ النخرِ خادمكَ الامينا

الخوري الياس الحايك

قانون

الوزير الاعظم في خلافة بني عثمان

للطغي باشا وزير السلطان سليمان الكبير

تَوطِئَة

بين المخطوطات التي خلّفها الاديب الحلبي والكتبي المرحوم احمد وهبي فحصلت عليها مكتبتنا الشرقيّة بعد وفاتهِ كتاب نفيس عنوانهُ « قانون بني عثمان » مجلّد مجلد اسود متين على صفحتيهِ ولسانهِ نقوش ذهبيّة طولهُ ٢٢ سنتي في عرض ١٤ س وهو يتألّف من ٢٩ صحيفة ومكتوب بخطّ مُشرق غاية في الوضوح على ورق صفيق. واسم المؤلف لم يُذكر لا في صدر الكتاب ولا في اثناء الكلام وعلى ظنّنا انّهُ الكتاب التركي المرقوم في مكتبة ڤينة عاصمة النمسة بعدد ١٨١٨ (Flügel : *Die arab., pers. u. türk. HSS. z. Wien*, III, 252) والمدعو هناك « قانون نامهٔ احمد خان » اي قانون السلطان احمد الاوّل المالك من السنة ١٠١٢ الى ١٠٢٦ه (١٦٠٣—١٦١٧م) « من جمع مؤذن زاده عين علي باشارة الوزير مراد للسلطان احمد خان». وقد جاء في آخر نسختنا العربيّة ما نصُّهُ الحرفيّ:

« وكان الفراغ من نسخها في اثنين وعشرين يوماً خلت من شهر ذي الحجّة الحرام ختام سنة تسعة واربعين ومائة والف (١٧٣٧م) على يد العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير الراجي لطف ربّهِ القدير خليفة ابن احمد بن محمّد غفر الله لهُ ولوالديهِ ولجميع المسلمين الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين امين »